الباب الثالث

المسيحية بعد تقرير التثليث

وفيه ثلاث فصول :

الفصل الاول : انقسام الكنيسة حول فهم الثالوث وما ترتب على ذلك .

الفصل الثاني: ثورة الإصلاح وأثرها على عقيدة الثالوث في المسيحية .

الفصل الثالث: عودة إلى التوحيد في العصر الحديث

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

انقسام الكنيسة

حول فهم الثالوث وما ترتب على ذلك.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

انقسام الكنيسة حول فهم الثالوث وما ترتب على ذلك

لم يكن تقرير التثليث في المسيحية سنة ٣٨١ م كعقيدة جديدة على الوجه الذي بيّناه عملاً سهلاً بل كان عملاً معقداً سبَّب كثيراً من الاختلافات والاتجاهات، لا بين من قالوا به وبين من أنكروه فحسب، بل بين الجماعات التي اتفقت على المبدأ واعتنقته، ثم عادت تفكر فيه، وعلى هذا كان عرض العقيدة الجديدة على العقل البشري مجالاً للتفريق بين أصحابها.

أسباب الانقسام:

يرى مؤرخو الأديان أن أسباب الانقسام بين المسيحيين تنحصر في هذين السؤالين:

١ـ هل المسيح ذو طبيعة واحدة لأنه إله أم ذو طبيعتين: إلهية لأنه الله، وإنسانية لأنه ابن مريم (ومريم من البشر)، فيكون بذلك اجتمع فيه اللاهوت والناسوت على حد تعبيرهم؟

٢ـ هل الروح القدس منبثق من الأب أم من الأب والابن معًا؟

وقد ولد السؤال الأول عقب إعلان نسطور رأيه في المسيح سنة ٤٣١م، أي بعد أكثر من نصف قرن من إعلان التثليث كعقيدة رسمية، فما هو مذهب نسطور في المسيح؟

مذهب نسطور في المسيح وطبيعته

لقد كان نسطور هذا بطريكًا للقسطنطينية سنة ٤٣١م، ويعتبر مذهبه كما يقول الدكتور أحمد شلبي: (محاولة للعودة إلى التوحيد)[١]. ويؤكد ذلك بما نقله ابن البطريق عن نسطور الذي قال: (إن هذا الإنسان الذي يقول: إنه المسيح بالمحبة متحد مع الأب ويقال إنه الله أو ابن الله ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة)[٢].

وبهذا القول يريد نسطور أن يرجع بالناس إلى المسيحية الأصلية ومنبعها الصافي المتمثل في تفرد الإله بالوحدانية، واعتبار المسيح ابنًا لله مجازًا كسائر الخلائق الأخيار، ثم أخذ يبرهن على مذهبه في المسيح المدعو إلهًا بقوله: (إن مريم لم تلد إلهًا؛ لأن ما يولد من الجسد ليس إلا جسدًا؛ ولأن المخلوق لا يلد الخالق، فمريم ولدت إنسانًا، ولكنه كان إلهاً وعلى هذا فمريم لا تسمى والدة الإله بل والدة المسيح الإنسان وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته، أي اتحد عيسى بعد الولادة بالأقنوم الثاني اتحادًا مجازيًا فمنحه ووهبه النعمة)[٣].

ولا شك أن هذا الرأي الذي أدلى به نسطور في المسيح وطبيعته منطقيًا ومقبولاً، فالتمادي بالقول بألوهية المسيح قد يؤدي حتمًا إلى إعلان ألوهية مريم والدة المسيح، ومن ثم تلتبس العقائد على الخلائق، ويتكاثر في الكون عدد الآلهة، وتتحول المسيحية إلى تربيع بعد تثليث، ولا ندري كم سيصل عدد الآلهة في المسيحية مع مرور الزمن وتعاقب السنوات، لأن ما يسري

---

(١) المسيحية ص ١٨٩، د. أحمد شلبي.
(٢) تاريخ ابن البطريق / ١ ١٥٦.
(٣) تاريخ الأقباط ج١ ص ١٥٩، زكي شنودة.

على مريم قد يسري على أمها وأبيها وبقية أحوالها، وبناء على هذا الاستنباط يكون نسطور من منكري ألوهية المسيح ومن أنصار عقيدة التوحيد، وهذا يعني أن الموحدين مازالوا يتجولون بعقيدتهم في ربوع المسيحية حتى وإن قرر التثليث كعقيدة رسمية.

موقف أصحاب عقيدة التثليث من مذهب نسطور سنة ٤٣١م

وكالعادة هرع أصحاب الثالوث إلى المجامع لنصرة عقيدتهم وإسكات من يحاول أن يرجع بالمسيحية إلى التوحيد، فأمر الملك تاوديوس الصغير بعقد مجمع في مدينة إفسس بالأناضول سنة ٤٣١م للنظر في رأي نسطور، حضره نحو مئتان من الأساقفة، وبلا تعقل ولا روية قرروا ـ كما يقول ابن البطريق ـ: (أن مريم العذراء والدة الإله، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين، متوحد في الأقنوم، وهو خلاف المحبة، ثم أعلنوا نفي نسطور إلى صعيد مصر)[٤]. ولا شك أن هذا المجمع وقراراته يوضِّح لنا عدة أمور منها:

أ) أن نسطور لم يكن وحيداً فريداً في الميدان، بل كان له مشايعون وأنصار كثيرون يقولون برأيه في المسيح، ويناصرون عقيدة التوحيد، وإذا كان الشيخ محمد أبو زهرة قد ذكر: (أن نسطور كان يناصره بطريق أنطاكية فقط ولم يحضرا المجمع لعلمهم بما دُبِّر لهما)[٥] فان زكي شنودة قد ذكر: (أن نسطور جاء ومعه أربعون أسقفًا من أشياعه وبذل كل جهد في إثبات كل معتقداته)[٦]. وهذا هو الأقرب إلى الصواب لأمرين:

الأول: أن كاتبه مؤرخ مسيحي.

---

(٤) تاريخ ابن البطريق ١ / ١٥٧.

(٥) راجع محاضرة في النصرانية ص ١٣٦، الشيخ / محمد أبو زهرة.

(٦) تاريخ الأقباط ١ / ١٦.

والثاني: أنه لا يمكن للملك أن يأمر بعقد مجمع ثم يحضره مئتان من الأساقفة من أجل نسطور فقط، وهذا يؤكد قولنا بأن نسطور لم يكن وحيداً.

ب) أن هذا المجمع قرر طبيعتين للمسيح، ثم تضمن القرار ألوهية مريم والدة المسيح، وبهذا تكون المسيحية المثلثة قد تطورت كما استنبطنا من مذهب نسطور سابقًا من تثليث إلى تربيع سنة ٤٣١م في إفسس، حتى وإن أنكر أصحاب المسيحية ذلك، وقد لفت القرآن الكريم الأنظار إلى القول بألوهيه مريم فقال عز شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٧]. ومنطوق الآية الكريمة يعني أن المسيح الذي يقرر الآن مجمع إفسس التصديق على ألوهيته وأمه وتحديد طبيعته لا علم له بما يجري تحت سقف هذا المجمع، ولا علم له أيضًا بأن البشر عبدوه واتخذوه إلها من قبل، وإلهٌ لا يعلم أن البشر عبدوه لا يصح أن يتخذ في شأنه قرار، ولا داعي لفحص طبيعته، ومع ذلك فقد قرر هؤلاء تأليه أمه وتحديد طبيعته، ثم نفُوا نسطور الذي قرر بشريَّتَه. (إلا أن هذا النفي لم يُمت مذهب نسطور، وأحياه من بعده عالم مسيحي اسمه «برصوما»... ومن ثم انتشر في الشرق، ولا يزال حتى الآن شائعًا في العراق والموصل والجزيرة)[٨]. والسؤال الآن هل القول بطبيعتين للمسيح يوافق عليه أصحاب عقيدة التثليث قاطبةً أم لا؟

---

(٧) سورة المائدة الآية ١١٦.

(٨) المسيحية ص ١٩، د. أحمد شلبي.

أعاصير الخلاف بين أصحاب الثالوث سنة ٤٤٩م حول طبيعة المسيح:

يذكر ميشيل جرجس في كتابه« الكنيسة المصرية» : (أن أوطاخي رئيس دير بالقرب من القسطنطينية قد تطرق في الجدل مع الآريوسيين فقال : إن طبيعة المسيح الناسوتية اندمجت في اللاهوتية ـ أي أن المسيح ذو طبيعة واحدة ـ، فعقد له مجمع في إفسس سنة ٤٤٩ م بأمر من الإمبراطور . . . وتولى رئاسته ديسقورس بابا الإسكندرية، وحضر يوليوس نائبًا عن أسقف روما، وناقش المجمع أوطاخي، فاعترف بتمسكه بقانون الإيمان النيقي، فحكم المجمع ببراءته)[٩] .

والملاحظ هنا أن المجمع حكم ببراءة أوطاخي علمًا بأنه يقول : إن المسيح ذو طبيعة واحدة . وهذا يعني أمرين :

الأول : أن مجمع إفسس الذي عقد سنة ٤٣١م لإسكات الموحدين، والقائل بالطبيعتين بدا يخترق بقول أوطاخي هذا في المسيح .

والثاني: أن ديسقورس بابا الإسكندرية يرى ما رآه أوطاخي بأن المسيح ذو طبيعة واحدة لا طبيعتين ؛ ولذلك اكتفى ببراءة أوطاخي حين أقرّ أنه متمسك بقانون الإيمان النيقي . . . من أجل ذلك أخذ أسقف روما يتنكر لقرار هذا المجمع، ويعلن براءته منه ؛ لأنه لم يتوافق ومزاجه، ومن هنا برزت عضلات الخلاف المذهبي بين أصحاب الثالوث حول طبيعة المسيح .

مجمع خلكدونية سنة ٤٥١م وتحقق الانقسام الكنيسي:

ولحاجة في نفس أسقف روما قد تكون متمثلة في السيطرة على العالم

(٩) كتاب الكنيسة المصرية، ميشيل جرجس نقلاً عن كتاب (يا أهل الكتاب تعالوا) ص٢٢٦، د. رؤوف شلبي .

المسيحي بما فيه كنيسة الإسكندرية أخذ يسعى لعقد مجمع لا لمناهضته نسطور وأشياعه هذه المرة، بل لمناهضة رئيس كنيسة الإسكندرية (ديسقورس) الذي صادق أوطاخي، وأعلن في مجمع إفسس الثاني أن للمسيح طبيعتين في طبيعة واحدة أي اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت، فعقد مجمع خلكدونية سنة ٤٥١م. (وكان أول اقتراح طلبه مندوبو رومية، كما تقول مؤلفة كتاب «الأمة القبطية» هو: انسحاب ديسقورس بطريك الإسكندرية، فلما سئلوا عن الباعث كان الجواب أنه لم يستأذن الكرسي الرسولي في عقد المجمع السابق، ويقصد بالكرسي الرسولي بابا القسطنطينية، ولكن المجمع قرر بقاء ديسقورس إلا أنه على غير كرسي الرئاسة...)[١٠]

نتائج المجمع:

وبعد مناقشات حادة بين جموع الحاضرين جاءت نتائج المجمع كالآتي:-

(١) للمسيح طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة، فالألوهية طبيعة والناسوتية طبيعة التقيا في المسيح.

(٢) لُعن ديسقورس وكل من يشايعه في مقالته ونفيه إلى فلسطين.

(٣) إبطال قرارات مجمع إفسس الثاني المنعقد بتاريخ ٤٤٩م.[١١]

ولما كانت هذه النتائج موافقة لمزاج رئيس كنيسة روما رقص لها طربًا، بيد أن المصريين حينما سمعوا بما وقع لرئيسهم ثاروا وغضبوا وأعلنوا

---

(١٠) محاضرات في النصرانية ص ١٣٨ الشيخ. محمد أبو زهرة، بتصرف.
(١١) يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٢٨، د. رؤوف شلبي.

رفضهم لقرارات هذا المجمع . ومن هنا دب الانفصال اليقيني بين أصحاب الثالوث .

وانقسمت الكنيسة آنذاك إلى شرقية وغربية حول طبيعة المسيح ولذلك يقول المؤرخ بوري Bury : (هذه المشكلة استمرت قائمة تمثل سببًا للخلاف الديني والتباعد بين الشرق والغرب . ويقول دوش Doch : نلاحظ أن الخلاف حول تفسير بعض المسائل الدينية كان دائمًا من العوامل التي زادت من اتساع الفجوة بين الكنيستين الشرقية والغربية) .[١٢]

وأقول: إن هذه الفجوة لا يمكن أن تمحى من جبين المسيحية ؛ لأن السبب الرئيس في بقائها إن لم يتمثل في العوامل النفسية لرؤساء الكنائس والمتضمنة حب السيطرة فهو يتمثل في عدم فهم الثالوث وحقيقته ؛ لأن شرعية هذا الثالوث الذي اتخذ كعقيدة رسمية لم تكن بوحي من السماء ، وإنما بقرارات أرضية قذف بها البشر في المجامع المسيحية ، وأمرٌ كهذا لابد أن يحدث بسببه خلاف وسيستمر هذا الخلاف بين الكنيستين إلى قيام الساعة ؛ لأن كلتيهما على باطل ، ولو كان أحدهما على حق لظهر في يوم ما ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** ﴾ [١٣] . هذا وقد أطلق على الكنيسة الغربية اسم الكاثوليك والشرقية اسم الأرثوذكس [١٤]

وبذلك نرى أن :

---

(١٢) يا أهل الكتاب تعالوا : ص ٢٢٧ ، د. رؤوف شلبي .

(١٣) سورة الأنبياء الآية ١٨ .

(١٤) كلمة كاثوليك Ctholique مأخوذة من كلمة يونانية ktholikos بمعنى العام أو العالمي ، أي إنها الديانة العامية أو العالمية . وكلمة أرثوذكس orthodox مؤخوذه من كلمتين يونانيتين وهما : orthos بمعنى الحق أو المستقيم ، و dox بمعنى الرأي أو المذهب ، فمعناهما المذهب الحق أو المستقيم ، (انظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص١٣ ، د. علي عبد الواحد وافي) .

(١) مذهب الأرثوذكس:

(يقضي بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وذاتًا واحدة أقنومية، اتحدت مع الجسد، وصارت بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج، ولذلك فالعذراء تدعى بحق والدة الإله)[١٥]. وعلى هذا المذهب تستقر عقائد كل من مصر والحبشة وأثيوبيا ومعظم مناطق إفريقيا، وهذا هو ما جاء في كتاب «تاريخ المسيحية في مصر»: (كنيستنا المستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقورس ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية الأرثوذكسية تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم؛ أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثاني، أي أقنوم الابن، تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصيّر هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزه عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا صار الابن المتجسد طبيعة، واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة)[١٦].

(٢) مذهب الكاثوليك:

يقتضي بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، فالمسيح أقنوم إلهي بحت، ولكن له ذاتين وكيانين هما الإله والإنسان. ومن الملاحظ على هذا المذهب أنه بني في شكله على مذهب نسطور الذي قال بطبيعتين في المسيح، إلا أن روح هذا المذهب الكاثولوكي تختلف عن مذهب نسطور، ووجه الاختلاف في أن نسطور كان يرى بأن المسيح قد اتصل به اللاهوت بعد ولادته، وأفاض عليه برحمته ولذلك فمريم لم تلد إلا إنسانًا، أما الكاثوليك فيرون أن مريم ولدت الاثنين جميعًا، فهي قد ولدت يسوع الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، فهو

(١٥) راجع تاريخ الأقباط ص١٦، زكي شنودة.

(١٦) محاضرات في الناصرية ص١٤١، الشيخ محمد أبو زهرة.

طبيعتان ومشيئتان، وأقنوم واحد، ولقد ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي (أن مذهب الطبيعتين أخذت به جميع الكنائس الأخرى)[١٧] أي الكنائس الغربية.

انقسام الكنيسة الأرثوذكسية:

ويبدو أن الانقسام حول طبيعة المسيح اللامفهومة في العقيدة الجديدة لم يتوقف عند هذا الحد فحسب، بل بدا يتجول داخل أصحاب المذهب الواحد، ولذلك رأينا تراجع بعض الصفوف في الكنيسة الأرثوذكسية عن مذهبها في المسيح.

يقول شحادة ونقولا خوري في كتاب «كنيسة أورشليم الأرثوذكسية»: إن هذه الكنيسة تعترف بقرارات خلقيدونية وهذا قولهما: (ومات بطرس أسقف القبائل العربية مخلفًا إفسكولاوس ثم يوحنا الذي صحب "يوفينياليوس" مع عدة أساقفة من فلسطين، لحضور المجمع المسكوني الرابع، الذي عقد في خلكيدون سنة ٤٥١م على عهد الإمبراطور "ماركيانوس" ضد هرطقة افتيشيسي وديسيقورس، القائلين بأن في المسيح طبيعتين فقط، وكان عدد آبائه ستمئة، فعلموا أن في المسيح طبيعتين متحدتين بدون اختلاط ولا انفصال، وقد تقرر في هذا المجمع بطريكية أسقف أورشليم، وتأيدت سائر مطالبه المذكورة آنفًا... وتولى يوفينا ليوسى الكرسي الأورشليمي)[١٨].

فتبين بهذا أن كنيسة أورشليم وهي من الكنائس الشرقية التابعة للأرثوذكس تقول بالطبيعتين. وهو بخلاف ما عليه بقية الكنائس الشرقية.

(١٧) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٣٢، د. علي عبد الواحد وافي.
(١٨) يا أهل الكتاب تعالوا ص٢٣، د. رؤوف شلبي.

انقسام الكنيسة الكاثوليكية:

وقد انقسمت أيضًا الكنيسة الكاثوليكية القائلة بالطبيعتين يوم أن أعلن الأسقف يوحنا مارون سنة ٦٦٧م مذهبه الجديد الذي يتضمن: (أن المسيح ذو طبيعتين: طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت في شخصه، ولكنه ذو مشيئة واحدة هي مشيئة الله)[١٩]. إلا أن هذا المذهب لم يرق لكثير من البطارقة، فأوعزوا إلى الإمبراطور أن يجمع مجمعًا عامًا في زعمهم ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئتين، فعقد لهذا السبب مجمع القسطنطينية عام ٦٨٠م وحضره نحو تسعة وثمانون ومئتي أسقف، وقد كان من عمله لعن وطرد كل من يقول بالمشيئة الواحدة، كما لعن وحرَّم وكفَّر كل من قال بالطبيعة الواحدة وقرروا الآتي كما جاء في تاريخ ابن البطريق: (نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوي مع الأب الإله في أقنوم واحد ووجه واحد يعرف تمامًا بناسوته تمامًا بلاهوته في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد. . . إله وإنسان وبهما يكمل قول الحق، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها فتعملان بمشيئتين غير متضادتين)[٢٠].

وقرروا لعن كل من يذهب مذهب مارون، إلا أن أتباعه تكاثروا عقب هذا القرار وكونوا لهم طائفة، وعنها يقول محمد أبو زهرة: (إن هذه الطائفة مازالت متوطنة بجبل لبنان، ولها بطريك خاص، وإن كانت تقر بالرياسة لبطريك روما)[٢١].

---

(١٩) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٢٥٤، ط الرياضي

(٢٠) تاريخ ابن البطريق ١ / ٢١٠.

(٢١) محاضرات في النصرانية ص ١٦٠ / الشيخ محمد أبو زهرة.

من أي الأقانيم جاء انبثاق الروح القدس؟

هذا هو السؤال الذي جاء عقب السؤال عن طبيعة المسيح، وبسببه اتسعت هوة الخلاف بين أرباب الكنيسة. والملاحظ أن ميلاد هذا السؤال كان في القرن الثامن الميلادي، أي بعد أن عمل الفكر الوثني بمعوله في العقلية المسيحية عدة قرون، وقد أخذ بطاركة الكنيسة في الإجابة على هذا السؤال، فذهب فوسيوس بطريرك القسطنطينية إلى القول: (بأن الروح القدس انبثق عن الأب الأقنوم الأول وحده، وعلى العادة خالفه بطريرك روما وقال: إن انبثاق الروح القدس كان من الأب والابن معًا، فاجتمع نفر من الأساقفة في القسطنطينية سنة ٨٦٩م للنظر في هذه المسألة بعد أن احتالوا على عزل فوسيوس وأتوا بآخر يميل معهم ويرى ما يرونه)[٢٢]، ثم عقدوا مجمعًا جاءت قراراته على النحو التالي:

(١) إن انبثاق الروح القدس من الأب والابن معًا.

(٢) إن كل من يريد المحكمة في أمر يتعلق بالمسيحية وعقائدها يرفع دعوى إلى الكنيسة بروما.

(٣) إن جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسيم التي يقوم بها رئيس كنيسة روما.

(٤) لعن البطريك المعزول فوسيوس، وحرمانه هو وأتباعه. وقد استطاع فوسيوس هذا أن يعود إلى منصبه، ويردد رأيه في الروح القدس)[٢٣]

والناظر في هذا القرارات يجد أن كنيسة روما الكاثوليكية كانت تملك

---

(٢٢) يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٤١، د. رؤوف شلبي.

(٢٣) محاضرات في النصرانية ص ١٤٦، الشيخ محمد أبو زهرة.

آنذاك عضلات قوية بها تحكمت في المجمع، فجاءت قراراته موافقة لرأيها عكس الكنيسة الأرثوذكسية. هذا ويطلق على الكنيسة الكاثوليكية اسم الكنيسة البطرسية، وعنها يقول صاحب سوسنة سليمان: (وهي تدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، وربما حق لها ذلك لجهة التفاسير التي تبنى عليها أصولها التقليدية ونظامات المجامع وترتيبها وهي أيضًا تأمر بها. وتمتد شوكتها على الخصوص في بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، وشعوبها منتشرة في أقطار الأرض)[٢٤]. ولأن الخلاف بين الكاثوليك والأرثوذكس حول انبثاق الروح القدس لا يعتمد على دليل منطقي أو برهان ساطع لطائفة منهما بات واضحًا لدينا أن هذا الخلاف سيستمر إلى ما شاء الله، ولذلك يقول الأستاذ العقاد: (وقد استقر الرأي على ذلك مع خلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية في موضوع الروح القدس وعلاقته بالأب والابن، فإن الكنيسة الشرقية تقول: إنه يصدر من الأب وحده، والكنيسة الغربية تقول: إنه يصدر من الأب والابن على السواء)[٢٥]. وقد ترتب على هذا الانقسام في فهم الثالوث بروز عقائد وشعائر جديدة غريبة عن المسيحية الأولى، وقبل أن نتحدث عن هذه العقائد والشعائر نقف قليلاً أمام هذه الآراء الكنسية التي دارت حول طبيعة المسيح وانبثاق الروح القدس.

نظرة فاحصة لهذه الآراء الكاثوليكية الأرثوذكسية:

والناظر في هذه الآراء الكاثوليكية والتي دارت حول عقيدة التثليث يرى أن أصحابها اتفقوا على اسم الثالوث، ولكنهم حينما تعرضوا لشرحه

---

(٢٤) سوسنة سليمان ص ١٥٤، ١٥٥، نوفل نعمة الله.

(٢٥) الله وهوكتاب في نشأة العقيدة الإلهية ص١٦٨، الأستاذ العقاد.

كانوا شركاء متشاكسون لا يقفون عند رأي موحد، ولا يتمسكون ببرهان قويم. ومن ثم نادت كل طائفة برأي تخالف به الأخرى؛ (فالكاثوليك نادوا بعقيدة تعدد الآلهة، وادعوا أن المسيح إله من آلهة ثلاثة، وهو ذو طبيعتين ومشيئتين: طبيعة لاهوتية كاملة، وناسوتية كاملة والروح القدس منبثق من الأب والابن معًا. أما الأرثوذكس فقد نادوا بعقيدة تجسد الإله، وأن المسيح عندهم ذو طبيعة واحدة حيث حل الإله كما يقولون في بطن مريم، ثم اتحد وخرج إنسانًا هو المسيح يسوع)[٢٦]. وبناء عليه فالمسيح في معتقدهم مرَّ عندهم بمراحل ثلاث هي الحلول ثم الاتحاد ثم خروجه في صورة إنسان، وأطلقوا علية لفظ الألوهية، ويرون أن الروح القدس منبثق من الأب وحده. ولقد ندد القرآن الكريم بمذهب الكاثوليك والأرثوذكس معاً، وقال مقالة تحمل التهديد، فقال جلَّ شأنه: ﴿ **وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ [٢٧].

ومنطوق هذه الآية الكريمة يعني: لا تقولوا ثلاثة آلهة متعددين، أو ثلاثة مراحل للإله الواحد. ثم رد على الكاثوليك بقوله: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [٢٨]. ورد على الأرثوذكس بقوله ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾[٢٩]. ثم تصدى علماء الإسلام لإبطال القول بالحلول والاتحاد للإله الواحد في المسيح والذي نجم عن هذه الآراء الكاثوليكية والأرثوذكسية.

---

(٢٦) مقدمة كتاب الأعلام ص٢٧ ، ٢٨ للإمام القرطبي، بتصرف يسير.

(٢٧) سورة النساء آية ١٧١.

(٢٨) سورة المائدة آية ٧٣.

(٢٩) سورة المائدة آية ٧٢.

إبطال الحلول والاتحاد عند أصحاب هذه الآراء:

يقول صاحب المقاصد: (لو حلَّ الواجب في جسم، فلو قبل المحل الانقسام للزم انقسام الواجب وتركبه واحتياجه إلى أجزائه، وأيضًا لو حل في جسم كانت ذاتيته قابلة للحلول في الأجسام لعدم وجود مخصص وهو ضروري البطلان والتالي فيما تقدم باطل. فالقول بالحلول على الله تعالى محال، وإذا كان من المحال حلول ذاته تعالى في غيره فكذلك من المحال حلول صفته في غيره؛ لأن انتقال الصفات محال، إذ الانتقال من خواص الذوات المتميزة والأجسام)[٣٠]. ويقول الإمام الجويني: (لو حل أقنوم الكلمة (الابن) في جسد المسيح أو خالطه فهو في حال الحلول إما ذات وإما صفه، فإن كان أقنوم الكلمة في حال الحلول ذات فإن فارقت الأب لزم التعدد؛ لأن الانتقال يقتضي الاستقلال في الصفات والذات، وتعدد الآلهة محال ببرهان التوارد والتمانع). [٣١] كما يلزم أيضًا انتفاء الذات بانتفاء جزئها المتنقل، وإن لم يكن يفارق الأب لزم وجود ذات واحد في مكانين مختلفين، وشغلهما حيزين متباينين في زمن واحد وهو محال. وإن كان أقنوم الكلمة في حالة الحلول صفة؛ فإن فارقت الأب فقد بقي الله

---

(٣٠) شرح المقاصد ج١ ص٦٨ سعد الدين التفتازاني. يجب أن يعرف أن كلمة واجب لا يطلقها على الله إلا الفلاسفة أما في لغة الشرع فلا لإنها لم ترد فيه.

(٣١) وبرهان التوارد تقريره أن يقال لو وجد إلهان وأرادا، أي اتفقا على إيجاد شيء، فإما أن يوجداه معاً بالاستقلال... فيلزمه وقوع أثر واحد بمؤثرين وهذا محال، وإما أن يوجداه معا متعاونين... وهذا محال أيضا لما يلزمه من كون كل إله منهما عاجز وفي حاجة إلى معاونة الآخر... وإما أن يوجده أحدهما فقط، وهو أيضًا محال لما يلزمه من عجز الآخر... أما برهان التمانع فحاصله أنه لو وجد إلهان متصفان بكمال القدرة وسائر صفات الإله، وتعلقت إرادة أحدهما بشيء، كحركة الجسم مثلاً - أي اختلفا في إيجاده - فإما يتمكن الآخر من إرادة ضده أو لا يتمكن، والتالي بقسميه باطلة، فبطل التعدد وثبتت الوحده لله تعالى. (راجع محاضرات في التوحيد، العقيدة، الفكر الحديث) د. محمد شمس الدين ص ٥١، ٥٢.

بدون كلمة وهو نقص لا يليق به تعالى، كما يلزم عليه انتقال وهو محال، لأن الانتقال من خواص الذوات والأعراض والصفات، وإن لم تفارقه لزم قيام الصفة الواحدة بمكانين مختلفين في وقت واحد وهو محال)[٣٢] .

وأقول: إن قضية الحلول هذه لم يدل عليها عقل ولا نقل ولا نطق بها نبي من الأنبياء مدعيًا أن الله يحل في بشر، ومن ثم فمسألة حلول الله في المسيح مسألة باطلة لا أساس لها في النقل، ولا برهان لها عند العقل، وإن اجتمع الكاثوليك والأرثوذكس على القول بأن هناك اتحاد بدون حلول قلنا لكل طائفة منهما ما قاله القائل: «**ليس هذا بعشك فادرجي**». وما ذاك إلا (لأن بعض العلماء ـ كما يذكر أستاذنا محمد شمس الدين إبراهيم ـ (يرى أن الحكم بامتناع الاتحاد حكم بديهي لا يحتاج إلى دليل، والبعض الآخر يمنعه بدليل؛ حاصله أنه لو اتحد شي بآخر فإن بقي لكل منهما وجوده الخاص له فلا اتحاد، بل هما اثنان، وإنْ وُجْد أحدهما وانعدم الآخر فلا اتحاد أيضًا؛ إذ لا معنى لاتحاد المعدوم بالموجود، وإن انعدما ووجد ثالث فلا اتحاد أيضًا؛ لأن الثالث غيرهما وهذا الدليل يمنع اتحاد الاثنين مطلقا)[٣٣] .

وبناء عليه أقول إن اللاهوت ـ كما يزعم هؤلاء ـ إن اتحد بناسوت المسيح، فإن بقي اللاهوت لاهوتًا والناسوت ناسوتًا فلا اتحاد؛ لأن كلاً منهما له ما يميزه، وإن انعدم الناسوت وبقي اللاهوت فلا اتحاد؛ لأن المعدوم يستحيل أن يقال إنه موجود وإلا فما معنى كونه معدوماً،

---

(٣٢) الشامل للجويني ص ٥٨٢، ٥٨٣، وراجع إظهار الحق ١ / ٣٧٧ للشيخ رحمة الله الهندي، دار التراث.

(٣٣) محاضرات في التوحيد والعقيدة، الفكر الحديث ١ / ٤١، د. محمد شمس الدين إبراهيم، دار الأنوار.

والنصارى لا يتراجعون عن القول بوجود الناسوت، فالمسيح بشر كسائر البشر، وتبطل عقيدة الطائفتين في ألوهية المسيح وإن انعدما معًا ووُجد ثالثُ فلا معنى للاتحاد؛ لأن الثالث غيّرهما. وإن أصر هؤلاء على أن اللاهوت والناسوت اتّحدا حقًا.

وبعد هذه البراهين العقلية التي تبطل الاتحاد **فإني أقول**: إن هذا الاتحاد لابد أن يغيّر من صفة اللاهوت والناسوت، فلم يبق حينئذ اللاهوت لاهوتًا ولا الناسوت ناسوتًا، بل صارا جوهرًا ثالثًا. وبناءً عليه فالمسيح غير الله، والله غير المسيح فذاك مخلوق كسائر الخلائق، ولذا قال سبحانه وتعالى في حقه: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٣٤]. والله الخالق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣٥] ويستحيل أن يتحد المخلوق الفاني بالخالق الباقي، إلا أن أصحاب هذه الآراء قالوا: إن الاتحاد لا يعني شيئاً ثالثًا؛ لأنه جاء على جهة الظهور، كظهور كتابة الخاتم إذا وقع على طين أو شمع، أو كظهور صورة الإنسان في المرآة. وقد أجاب الشيخ رحمة الله الهندي قائلاً: (إن هذا القول لا يثبت الاتحاد الحقيقي، بل يثبت التغاير؛ لأنه كما أن كتابة الخاتم الظاهر على الطين أو شمع غير الخاتم وصورة الإنسان في المرآة غير الإنسان، فكذلك يكون أقنوم الابن غير المسيح عليه السلام الناسوت، بل غاية ما يلزم أن يكون ظهور أثر صفة الأقنوم فيه أكثر من ظهوره في غيره، كما أن ظهور تأثير شعاع الشمس في بعض الأحجار التي تتولد منها الجواهر المعروفة أزيد من تأثيره في الأحجار التي هي غير تلك الأحجار)[٣٦]. وبذلك تبطل أقوالهم وتتلاشى حججهم، ولا يصح أن يقولوا إن اللاهوت حلَّ أو اتحد بالناسوت. والآن نسأل؟

(٣٤) سورة الزخرف آية (٥٩). (٣٥) سورة الشورى آية (١١).
(٣٦) إظهار الحق ص ٣٣٧، الشيخ رحمة الله الهندي.

ما هي مصادر هذه الآراء؟

يرى أصحابها أن مصدرها الأناجيل، وخاصة إنجيل يوحنا الذي جاء فيه: (أنا والأب واحد)[٣٧]. وهذا يعني عندهم أن الله اتحد بناسوت المسيح، وحلّ فيه. وهذا القول لا نصيب له من الصحة؛ لأنه من سبيل المجاز، فالمسيح لم يقصد ما يقصدون، بدليل أن يوحنا نفسه ذكر نصًا آخر على لسان المسيح صرح فيه بالحلول له ولغيره: (من يعترف أن يسوع ابن الله فالله حالّ فيه، وهو أيضًا حالّ في الله)[٣٨]. فلو كان المسيح يقصد أن كل من حلّ فيه الإله فهو إله لكان معنى ذلك أن يوحنا أيضًا إله، وكل من آمن ببنوة المسيح إله، ولكن المسيح لم يقصد إلا البنوة المجازية، أي القرب من جنبات الله بالكلية، ويوحنا وسائر التلاميذ ـ إن كان هو منهم ـ فهموا ما قصده المسيح.

وإذا كان الأرثوذكس والكاثوليك ومن سار على دربهم يريدون أن يلووا أعناق الحقيقة، ويثبتوا أن قضيتي الاتحاد والحلول تكتسبان شرعيتهما من كتبهم، فإن ذلك لا يمنع القول بأن أصل مقولة الاتحاد والحلول التي ولدها العقل المسيحي لم تكن مسيحية في أصلها. والبيروني[٣٩] في كتابه «تحقيق ما للهند من مقولة» (يذكر أن أصل فكرة الحلول هندي، وأن هذه الفكرة دخلت إلى أعماق المسيحية، وكذلك فكرة الاتحاد، فالهنود منشأ هذا القول، وأنهم يذهبون في الوجود إلى أنه شيء واحد، وينقل البيروني نصوصًا من كتبهم المقدسة تقول: إن جميع الأشياء عند التحقيق إلهيا؛ لأن

---

(٣٧) إنجيل يوحنا إصحاح ١٠ / ٣٠.
(٣٨) إنجيل يوحنا إصحاح ٤ / ١٥.
(٣٩) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٩٦٢ـ١٠٤٨م)، مؤلف عربي سافر إلى الهند، ودرس لغة أهلها، وحصل على كثير من العلوم، وكان مؤرخًا لغويًا وأديبًا وعالمًا بالرياضيات والفلك والطب والفلسفة والأديان (الإسلام دين المستقبل ص٩٦ روجيه جارودي ترجمة عبد المجيد بارودي).

بشن ـ أي الله ـ جعل منه أرضًا ليستقر الحيوان عليها، وجعل من الأرض ماء ليتغذى الحيوان، وجعل منها نارًا وريحًا لينمِّيه وينشّئه، وجعل قلبًا لكل حيوان. . . ففي الناس جميعًا قوة إلهية بها تعقل الأشياء بالذات[٤٠]). ويصدّق الدكتور علي سامى النشار على كلام البيروني قائلاً: (ولا ينكر أحد أبدًا أن فكرة الحلول والاتحاد منشؤها الهند، وأثبت البحث العلمي الأوربي أن جانبًا كبيرًا من تعاليم المسيحية في الحلول إنما منشؤه هندي)[٤١]. ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة: (والهنود يعتقدون أن بعض آلهتهم حلت في إنسان اسمه كرشنه، والتقى فيه الإله بالإنسان أو حل فيه اللاهوت في الناسوت في كرشنة، كما يعبر المسيحيون عن المسيح، ويصفونه بأنه البطل الوديع المملوء ألوهية)[٤٢].

وأقول: إذا كانت هذه الآراء الهندية أسبق من الآراء والكاثوليكية والأورثوذكسية والتي لا تملك لصحتها دليلاً واحدًا من كتبها علمنا إذن المشتق والمشتق منه، والأصل وما تفرع عنه، وعلى أصحاب الثالوث جميعًا أن يبحثوا عن أصل دينهم، ولا يتمادوا في القول على الله ونبيه عيسى زورًا وبهتانًا. ولله در القائل فيهم وفي أقوالهم هذه:

محال لا يساويه محـــال ... وقـول في الحقيقة لا يقال
وفكر كاذب وحديث زور ... بدا منهم ومنشـؤه الخيال
تعالى الله ما قالوه كفـــر ... وذنب في العواقب لا يقال

إبطال قضية الانبثاق:

إن قضية الانبثاق التي دار حولها الفكر المسيحي ـ وبسببها توطن

(٤٠) تحقيق ما للهند من مقولة ١ / ٤٤.
(٤١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ص ٤٧، د. علي سامي النشار، طبعة دار المعارف.
(٤٢) الديانات القديمة ص ٢٨، الشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي.

الشقاق بين الكاثوليك والأرثوذكس ـ لعجيبة وغريبة، وتكمن غرابتها في كونها مختصة بالروح القدس فقط، وهو الأقنوم الثالث في ترتيب الثالوث، علمًا بأن أتباعه متفقون في عدم وجود فرق بين أفراده، فهم ـ على حسب زعمهم ـ ثلاثة في واحد. فلماذا إذن ينسب الانبثاق للروح القدس دون الابن مثلاً؟ هل جدّ جديدٌ به تميز هذا عن ذاك؟

إن الابن عندهم هو الكلمة، والكلمة صفه من صفات الله تعالى، وقديما قرر أسلاف هؤلاء في المجمع القسطنطيني سنة ٣٨١م كما ذكرنا سابقًا أن الروح القدس هو روح الله، وروح الله عندهم هي حياته، وحياته صفة من صفاته قائمة بذاته تعالى، فلو انبثقت هذه الصفة عن الذات لانبثقت عنه سائر الصفات. وهذا هو ما قرره الإمام ابن تيميه في قوله: (لو كان القائم بنفسه منبثقًا لكان علمه وقدرته وسائر صفاته منبثقة منه، بل الانبثاق في الكلام أظهر منه في الحياة، فإن الكلام يخرج من المتكلم، وأما الحياة فلا تخرج من الحي فلو كان في الصفات ما هو منبثق لكان الصفة التي يسمونها الابن ـ ويقولون هي العلم والكلام أو النطق والحياة، أولى بأن تكون من الحياة التي هي أبعد عن ذلك الكلام)[٤٣].

وبهذا لا يكون الروح القدس منبثقًا من الأب فقط، ولا من الأب والابن معا، إنما هو خلق كسائر خلق الله، خصه الله بحمل رسالته إلى سائر أنبيائه عليهم السلام، وسيبقى الخلاف بين هؤلاء قائماً على باطل إلى يوم الدين.

ما ترتب على هذا الانقسام الكنسي:

كان من الطبيعي أن يترتب على هذا الانقسام الكنسي حول فهم

(٤٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢ / ١٥٩ للإمام ابن تيميه، ط المدني المؤسسة السعودية بمصر.

الثالوث بروز عقائد وأحكام جديدة أخذت تطل برؤوسها على المجتمع المسيحي المحتضن للثالوث الوثني، ونتيجة لفساد المسيحية آنذاك كان من الطبيعي أيضًا أن تفسد الكنيسة بشقيها، وأن يمتد فسادها إلى خارج حدودها، مما كان له الأثر الواضح في المحيط المسيحي، بيد أن هناك صرخات إصلاحية دوّت داخل الكنيسة وخارجها قاصدة إصلاح حالها وردها إلى الواجهة الصواب التي عليها قامت الأديان السماوية. هذا وقبل أن نسطر لهذه الصرخات أو الصيحات الإصلاحية لا بد أن نعطي نبذة قصيرة عن أهم العقائد والأحكام التي وضعتها الكنيسة المثلثة وقدمتها للمسيحيين كعقائد وشرائع سماوية جاء بها المسيح عليه السلام وسنرى هنا أن الكاثوليك والأرثوذكس ما زالوا شركاء متشاكسين أيضًا حول بعض هذه الأحكام ومن أمثلتها:

(أ) مسألة الاستحالة أو العشاء الربّاني:

وعنها يحدثنا الشيخ محمد أبو زهرة قائلاً: (إن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزًا ويشربون الخمر، ويسمون ذلك بالعشاء الرباني، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل إلى جسد.

المسيح وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك، فمن أكلهما وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه) (٤٤).

أما عن المصدر الذي عليه اعتمدت الكنيسة للأخذ بهذا الحكم فهو ما جاء في إنجيل متّى: (وبينما هم يأكلون أخذ يسوع قطعة خبز، وبعد أن باركها كسرها وأعطاها لتلاميذه وقال: خذوا هذا هو جسدي، ثم أخذ

(٤٤) محاضرات في النصرانية ص١٧، الشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي.

كأسًا من الخمر، وبعد أن باركها أعطاها لهم، وقال اشربوا جميعًا من هذه الكأس، فهذا هو دمي دم العهد الذي يسفك من أجل كثير لمحو الخطايا)[٤٥]. ولاشك أن هذا الحكم الذي قالت به كنيسة الثالوث غريبٌ وعجيبٌ، ولا أدري هل حقًا توجد عقلية إنسانية تصدق بهذا الهراء وتؤمن بهذه المقولات. إذ كيف تتحول الخمر إلى دم، وكيف يستحيل الخبز إلى لحم؟ ولحم من لحم شخص معروف، بل إله معبود لدى القوم، ما هذا الهراء؟ وكيف يكون التصديق به؟ بل كيف يتهم عبّاد الثالوث نبي الله ورسوله عيسى عليه السلام بأنه شرب خمرًا وفرض شربه على القوم؟إنني أوقن أن هذا النص الذي اتخذته الكنيسة كدليل على ما تقول نص كاذب، وقائله أفّاك أثيم، ولا أقول ذلك جزافًا، بل أمامنا شواهد تثبت أن الخمر محرمة في العهدين القديم والجديد، ومن ثم يثبت ما نقول. وهاك بعض من هذه النصوص وتلك الشواهد:

أولاً:في العهد القديم:

(١)جاء في سفر الأمثال: (الخمر مستهزئة، المسكرعجاج، ومن يترنح بهما فليس بحكيم)[٤٦]

(٢)وجاء في سفر أشعياء: (ويل للأبطال على شرب الخمر، ولذوي القدرة على مزج السكر)[٤٧]

(٣)وجاء في سفر اللاويين: (وكلم الرب هارون قائلاً: خمرًا لا تشرب، ومسكرًا لا تشرب أنت وبنوك معك)[٤٨]

---

(٤٥)إنجيل متّى إصحاح ٢٦/ ٢٦، ٢٧، ٢٨.
(٤٦)سفر الأمثال إصحاح ,١/ ٢٠
(٤٧) سفر أشعياء إصحاح ٥ / ٢٢.
(٤٨) سفر اللاويين ،١٠/ ٨، ٩.

(٤)وقد أعلن سفر الأمثال أن الفقر في شرب الخمر: (محب الخمر والدهن لا يستغني)[٤٩].

(٥)كما نهى هذا السفر أيضًا عن مجالسة من يشربون الخمر: (لا تكن بين شريبي الخمر، بين المتلفين أجسادهم؛ لأن السكّير والمسرف يفتقران)[٥٠].

ثانيًا: في العهد الجديد:

(١) حيث جاء في رسالة بولس الرسول - عندهم - إلى أهل إفسس: (ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح)[٥١]

(٢)وفي رسالة بطرس الأولى: (لنكون قد عملنا إرادة الأمم، سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة)[٥٢]. ولانريد أن نستطرد في ذكر هذه النصوص. ولكن بهذا القدر يمكننا القول بأن العهدين "القديم والجديد" قد سطرت فيهما نصوص تدل على أن الخمر محرمة. ولما جاء الإسلام أكد على تحريم الخمر، وذلك من خلال آيات وفيرة جاء ذكرها في القرآن الكريم:

(١) قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[٥٣]

(٢) وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[٥٤]

(٣) وقال تبارك اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥٥]

---

(٤٩) سفر الأمثال، ٢١/ ١٧.
(٥٠) سفر الأمثال٢٣/ ٢٠، ٢١.
(٥١) رسالة بولس إلى أهل إفسس إصحاح ٥/ ١٨.
(٥٢) رسالة بطرس فنولي إصحاح ٤/ ٣.
(٥٣)سوره البقرة آية ٢١٩.
(٥٤) سورة النساء آية ٤٣.
(٥٥)سورة المائدة آية ٩٠.

والذي يعنينا في هذا المقام أن السيد المسيح عليه السلام لم يشرب الخمر، وأن الكتب المقدسة لدى القوم شهدت بذلك، ومن ثم فالنص المعتمد عليه في مسألة الاستحالة نص باطل وكاذب، وكان على الكنيسة أن تفكر قبل أن تشرع ولكنها (فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته، وإلا عرِّضوا للطرد والحرمان. . . ولقد خالفت في بعض شأنه أي العشاء الرباني الكنيسة الكاثوليكية غيرها من الكنائس. فالكنيسة الشرقية الأرثوذكسية ترى أن العشاء الرباني لا يكون بالفطير، بينما تراه الكنيسة اللاتينية. ووجد من أحرار الفكر من ينكرون هذه الاستحالة، ويعتقدون أنها غير ممكنة في العقل، ولا سائغة في الفكر) [٥٦] كما سيأتي في موضعه إن شاء الله.

(ب) أما المسألة الثانية: فهي مسألة امتلاك الكنيسة حق الغفران للمسيء في الدنيا، وهي من المسائل التي أبرزتها الكنيسة إلى حيز الوجود بدون دليل أو برهان حتى تعطي لنفسها قوة تفوق قوة أي سلطان، ومن ثم تكون باسم الثالوث صاحبة الأمر والنهي، وعقدت لهذه المسألة المجمع الثاني عشر، وقد جاء في كتاب «تاريخ الكنيسة» بيان قرار المجمع في هذا الشأن: (أنهى المجمع تعليمه فيما يتعلق بأمر الغفران فقال: إن يسوع المسيح ما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلا منذ الأيام الأولى، وقد أعلم المجمع المقدس، وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي المثبتة بسلطان المجامع) [٥٧]. ثم ضرب المجمع بسيف الحرمان على كل من كان له اعتراض على هذا القرار، وقد نقل إلينا

(٥٦) راجع محاضرات في النصرانية ص ١٧١، الشيخ محمد أبو زهرة.

(٥٧) كتاب تاريخ الكنيسة نقلاً عن محاضرات في النصرانية ص ١٧١، الشيخ محمد أبو زهرة.

صاحب «سوسنة سليمان» صورة من صور صك الغفران التي يمحو بها القس ذنوب العباد (ربنا يوسع المسيح يرحمك يا فلان ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة. وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي وأمحو جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثا إلى الشركة في أسرار الكنيسة. وأقرنك في شركة القديسين... حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين)[٥٨].

وبهذه الصكوك تجول القساوسة وخاصة قساوسة الكنيسة الكاثوليكية وكان البابا إذا ما أراد أن يبني كنيسة أو يجمع مالاً لشيء ما هرع إلى هذه الصكوك ليطبعها، ثم يوزعها على أتباعه ليبيعوها في أسواق المذنبين، مثلهم كمثل الذى يبيع أسهم الشركات في زماننا أو أوراق اليانصيب بين الحانات والأرصفة، والعجيب أن هذا الصك يغفر لمشتريه ما تقدم من ذنب وما تأخر، فهو بعبارة أخرى إذْنٌ بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضمنت الجنة لهذا المحظوظ. ولم تقف مسألة غفران الذنوب عند هذه الصكوك، بل سرعان ما دخلها عنصر جديد وهو ما يسمى بـ:

ج) الاعتراف: فكان على المذنب أن يعترف بذنبه في خلوة مع قسيس ليستطيع هذا القسيس أن يغفر له ذنبه.

وفي خلوات الاعتراف حدثت أشياء يقشعر لها الوجدان، ولست

(٥٨) سوسنة سليمان ص١٥، نوفل نعمة الله.

أجدني في حلّ من ذكر هذه الفضائح بين هذه السطور، ولكني أشير إليها إشارة سريعة لعل قراراً حاسمًا يصدر بإيقاف هذا الزيغ الذي يرتكب باسم الدين، وقد نشرت المجلة المسيحية (رسالة الحياة) صوراً من ذلك يندى لها الجبين، وذكرت أحداثًا محددة اعتدى فيها رجال الدين أو حاولوا العدوان على المعترِفات)[٥٩].

د) عصمة البابا وتوالي الفساد:

ولكي تضمن الكنيسة رواج سلعتها وتمكين قبضتها من أعناق المسيحيين، وعدم نقدها في هذا الأحكام أعلنت بكل جرأة عصمة البابا، وذلك في بيان عام لتابعيها جاء فيه: (عليكم أن تطيعوا آباء الكنيسة كما أطاع عيسى أباه، أطيعوا أئمتكم الروحانيين كما تطيعون الرسل، ولا يباشر أحدكم شأنًا من الشؤون (كالتعميد والزواج وحضور الموت والصلاة) بدون حضور آباء الكنيسة، وأنَّى يوجد الأسقف فإن حضوره يعد حضورا للمسيح نفسه تبعا لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية)[٦٠].

ولم تكتف الكنيسة بهذا الإعلان، بل توسعت في سلطتها خارج حدودها، وتطلعت إلى كراسي الملوك، علمًا بأن القاعدة المعروفة عند أربابها هي: (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع العلم أن كل شيء لله تعالى. وبمرور الزمن اخترقت هذه القاعدة: (ونشأ صراع عنيف بين السلطة والكنيسة للسيطرة من أحدهما على الآخر، إلا أن التهديد الحقيقي للكنيسة بدا بانحراف القائمين عليها، وتحول البابوات إلى أوغاد وفجار على حد تعبير جورج سباين)[٦١]. وأصبحت المناصب الدينية في المزاد العلني توزع

(٥٩) رسالة الحياة السنة الأولى العدد الثاني عشر ص ٦، والسنة الثانية العدد الثاني ص ٢٥، انظر المسيحية ص ٢٥٥، د. أحمد شلبي.

(٦٠) المسيحية ص ٢٠٠، د. أحمد شلبي.

(٦١) تطور الفكر السياسي ٣/ ٤٧٢ جورج سباين، ترجمة راشد البراوي.

بأساليب الدناءة حتى كانت ماروزيا وهي ابنة أحد كبار موظفي القصر البابوي، (تعين بنفوذها بعض أصدقائها في مناصب البابوية ومنهم البابا سرجيوس الثالث(٩٠٤-٩١١)، وبلغ من استهتارها أن عينت في هذا المنصب الديني ابنها غير الشرعي من سرجيوس هذا باسم البابا يوحنا الحادي عشر، كما عينت أحد أحفادها باسم البابا يوحنا الثاني عشر وكان صبيًا في السادسة عشرة من عمره، وهو البابا الذي اتهم بتعيين طفل في العاشرة من عمره في وظيفة أسقف)[٦٢].

وهكذا بعدت المسيحية بعدًا تاما عن تعاليم السيد المسيح عليه السلام وظهرت على السطح باسم الثالوث مسيحية جديدة فاسدة تسمى مسيحية القساوسة، والتي عنها قال روسو: (إن مسيحية القساوسة تعطي للناس تشريعين ورئيسين ووطنيين، أحدهما ديني والآخر مدني، وتخضعهم لواجبات متناقضة، وتقوم على أكاذيب تخدع الناس، وتجعلهم بلهاء يؤمنون بالخرافات، ويغرقون عبادة الله الحقيقية في طوفان من الطقوس الجوفاء، وهي دين متعصب)[٦٣]. وهذا التعصب هو الذي جعل الفساد الديني يتتابع والانحراف الخلقي يتوالى، وتحكم رجال الدين في عقول الناس وعقائدهم واستحوذوا على أموالهم وامتهنوا أعراضهم وأهدروا دماءهم، حتى تنادى الناس جميعًا بالإصلاح الشامل، فكانت الثورة الكبرى ثورة الإصلاح، وبسببها تحررت العقول عن بعض الطقوس

---

(٦٢) راجع معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى ص ١٦٦، د. عبده فراج، ط الأنجلو المصرية ١٩٦٩ م.

(٦٣) العقد الاجتماعي ص ٢٣٢ ترجمة عبد الكريم أحمد، مراجعة توفيق اسكندر، ط دار سعد. مصر.

الكنيسية، وسادت روح النقد كل شيء حتى وصلت إلى عقيدة الثالوث التى حرمت الكنيسة مناقشتها، مما كان له الأثر الواضح على هذه العقيدة في المسيحية. وهذا هو موضوع حديثنا في الفصل التالي إن شاء الله.

obeikandl.com